شخصية شهر مارس — ٣

ليون دوديه

LÉON DAUDET

لمراسلنا « ص »

جزنا بالموضوع السابق حدود اسبانيا الى هانري فسار بنا السبيل السوي والجوار الجغرافي الى أدباء فرنسا . وكنتُ في شاغل من التخيُّر بين ذوي الشأن الأدبي الخاص عندما رأيت برقية بتاريخ ٢٦ يناير تنبىء بأن المحاكم الفرنسية العليا أيَّدت الحكم الابتدائي بتغريم ليون دوديه خمسين الف فرنك تعويضاً للجنرال دبلانج والكولونيل كرلومبو اللذين كان اتهمهما بقتل ولده فيليب

أليست هذه الشخصية تفرض نفسها في هذا الظرف على نوع ما ؟ وهي وان لم تكن ذات نزعة متفردة في الادب الاّ انها من اغرب الشخصيات وأغناها ومن اوفرها تنوعاً وانتاجاً ، ولصاحبها موقف خاص بين كتّاب فرنسا من الوجهة السياسية ، وصبغته السياسية كثيراً ما تتسرب الى مختلف كتاباته ولكنها بوجه عام لا تحدُّ من حريته الفكرية ونزعاته الانسانية . فكأن السياسة كلما تحاشيتُها تعمدتْ النكاية بي فامتزجتْ بالشخصية التي أقلّبها . كذلك اغرتني المفارقات بين اوناموني ودوديه الذي هو ، عدا العقيدة السياسية ، اقرب الى ايقانييت . ولئن كان دوديه ايضاً في سن السبعين او يزيد قليلاً فهو مع ذلك في تطور مستمر وعلى مرونة عقلية وعاطفية دونها مرونة الشباب احياناً : « كلما تقدمت في السن زدتُ ابتعاداً عن الاساليب المألوفة وأمعنت في الاستعداد لتقبل الصيغ الجريئة وتعرُّف المواهب الصادقة مع العطف على الذين يبحثون فلا يجدون ... »

***

هو زعيم حزب الملكيين بفرنسا . وهذا الحزب ضئيل العدد الاّ انه كثير الجلبة وصيحات « سرّيحة الملك » (Les Camelots du Roi) وهو الاسم الذي يطلق على انصاره من طبقة العمال والفقراء والباعة المتجولين) تدوي عالية ويتناقل البرق انباء صولاتهم وبغاراتهم ومظاهراتهم في كل ظرف سياسي مؤاتٍ . وأهمية الحزب في اقلام زعمائه وبينهم ، مع دوديه ، نفر من امهر الكتاب . وليون دوديه هو صاحب جريدة « لاكسيون فرانسيز » ، لسان حال الحزب ، ومناصرة

الدين الكاثوليكي لأنه دين ملوك فرنسا . فهي تحمل الحملات العنيفة على سياسة الجمهورية عموماً وبخاصة لانها تفصل بين الدولة والدين ، وقد اضطهدت المدارس الدينية ورجال الدين في وقت ما. فكان المنتظر ان تكون الكنيسة ذات عطف خاص على تلك الجريدة التي تخدم مصلحتها في نزاهة وإخلاص وتجرد من المنفعة . ولكن لا ، وذلك بعض الوقائع الغريبة في شؤون دوديه ! لان الكنيسة التي تجامل حتى مضطهدي رجالها ، تناهض جريدة « لاكسيون فرانسيز » وترشقها بالحرم الاكبر وتحظر على الكاثوليك مطالعتها والاّ كانوا خارجين عن حظيرة المؤمنين !

لا يتسع المجال لذكر الاسباب الداعية الى هذه المقاطعة . والذي يهمنا من الامر هو قول دوديه : « تلك الاضطهادات لم تؤثر فيّ لحظة ولم تزعزع من ايماني . بل بالعكس تبدو لي كتجربة من العناية الالهية تمدنا للظفر النهائي بعودة الملك الى عرشه ... يجب ان لا نحنق . فقد قال موراس ان الحنق والغضب والازدراء ليست من اللياقة السياسية في شيء »

وشارل موراس رئيس تحرير « لاكسيون فرانسيز » من ابرع الكتاب ومن القليلين الذين يعجب بهم دوديه ويتعصب لكرامتهم . فمن تحدّاه او اساء اليه فقد أثار سخط دوديه عليه ونبه بداهة السخرية والهجو التي لا تحتاج عند دوديه الى تنبيه . من ذلك ما يتصل باعلان رأيه في الاكادميا الفرنسية مع اعترافه اولا بأنه كأبيه (الكاتب القدير الرشيق المرحوم الفونس دوديه) لا يطمع في عضوية الاكادميا ولن يكون يوماً في عداد متسولي المناصب والوظائف والاوسمة . ولئن قبل عضوية اكادميا جونكور فلصداقة حميمة بينه وبين مؤسسيها ولأن أحد الاخوين جونكور جعله قيّماً على تنفيذ وصيته بعد وفاته

« الاكادميا الفرنسية لا تقبل إلاّ كل مذكوك من متقني المص واللحس حيال أولي الامر . لم يكن لها بلزاك ، ولا بودلير ، ولا برودون ، ولا ميشليه ، ولا ألفونس دوديه ، ولا فلوبير ، ولا جونكور ، ولا ميسترال كيلا نذكر غير اولئك الثمانية . الاّ أنها حوت أمثال إيكار ، واميل اوليفييه ، وبوانكاره ، وبارتو ، وهانوتو — وما هم الاّ مرقة غَزُر ماؤها جديرون بغسيل أواني الصفيح ، عصابة الشعراء الملفقين ، ديدان (larves) المحابر وساسة أغبياء من الذين يُريّلون و... وقد آزرت الاكاديميا أخيراً خردة من خرداوات باخرة «السويس» ، سليستان جوفار الذي لم يكن له ذكر في لغة من اللغات ، على شارل موراس صاحب العبقرية العالمية ... انها لا تقوم بخدمة ولا تمثل شيئاً . . . . وبعض ذوي الحيثية الذين جنحوا في مقاعدها لا يعوضون عن فناء الآخرين وانتفاخهم ، هؤلاء حُطام الصالونات والجمعيات والسكريتيات والمحاكم ومجالس الادارة . . . غبار المحابر والحصر والنهاليز ...

«والاكاديميا تغص من الشخصيات... فاذا رغب فيها رجل فلا تردُّه عنها حقارة وصارت عنده

فكرةً ملازمة وهوساً . وقد تعلمتُ من أميل زولا عند ما كان قريباً ذاك الذاء الغريب . . . . تلقيت عن والدي عدم الاكتراث بما يسمونه «مجداً» وأنا في سعة من العيش ملتها بكدي فأتاح لي ذلك الاعراب بحرية عن عقائدي وآرائي وعما أشعر به من ميل أو نفور فلا يهمني أرضيت هذا أم اغضبت ذاك . فكرة التوسل لنيل غرض ما بغيضة اليَّ . احترم الاشخاص او احتقرهم وفقاً لمقياسهم (الادبي) لا لهندامهم او وظيفتهم او ثروتهم »[1] ...

***

وهذا موقفه حيال الأموات ايضاً . فهيبوليت تين مثلاً الذي هو عند الكثيرين إمام في دراسات النقد ذي الصبغة الفلسفية والعلمية في الادب والفن والاجتماع ، ليس في نظر دوديه سوى «مؤرخ حاذق وكاتب في الدرجة الثانية واستاذ ولكنهُ ليس بفنان ، فهو لم يفهم شيئاً من الأدب الانجليزي وكتابهُ في هذا الموضوع عجز فاضح» . أما الامة الانكليزية وبلادها وآدابها واخلاقها وجمال نسائها واصناف المآكل في مطاعمها فتثير كلّها تطلعهُ واعجابهُ . فيفسر عادات الانجليز والبريطانيين عموماً وميلهم الى الكآبة والسآمة (Spleen) وجهم للكتة تفسيراً علميًّا على نقيض الالمان الذين يرى فيهم حيواناً لا يركن اليهم . وفي الرسالة التي نشرها ابان الحرب [2] دعا الى مقاطعة الروح الالماني واللغة الالمانية والفلسفة الالمانية التي انتشرت في الشبيبة الفرنسية بعد حرب السبعين والتي لا تتفق في نظره والنفسية الفرنسية

وقد كتب في منفاه ببلجيكا قبل سبعة اعوام : « لا اريد بعد اليوم ان ارى المانيًّا ولا ان اتحدث مع الماني ، وان كنت احبُّ الشعر الالماني والعلم الالماني واللغة الالمانية وكنت احفظ عن ظهر قلب من قصائد جوته وليناو وهاينه بقدر ما احفظ من قصائد بودلير وميسترال واوبانيل وهوجو » . والداعي الى ذلك النفور هو استنكاره لما اقترفهُ الالمان ابان الحرب . كأن الحرب ليست كلها آثاماً وكأن الالمان وحدهم يأتون فيها بالفظائع ! وقد نسي دوديه ان الشعوب جميعاً في ذلك سواء تكشف عن الهمجية المرعبة في الانسان وتفاخر بأعمال الوحشية متغنية بالكلمة المأثورة « كل شيء مباح في الحب والحرب» ...

أما ما يهمهُ هو فصلحة فرنسا أولاً . ويبتّ بضرورة الحرب وينفي مكان السلام : « قرأت في جريدة «الطان» التي لديها ورق تنفقهُ ، كلاماً عن خيرات العلم الباهرة .. ان العلم لا يبالي بالخير ولا بالشر . هو بعيد في تجاربهِ وظنونهِ ولو الى وقت ما ولوسط فكري ما . ولكنهُ كشف عن

(١) الجزء الثاني من كتاب (Paris Vécu) (٢) كتاب (De Kant à Krupp)

نتائجه التي قد تجيء حسنة وقد تجيء سيئة . تلك المبصرات البشرية القنابل ، والمناطيد الحربية ، والغازات المهلكة تكوّن جميعاً جزءاً من العلم الحالي شأنها شأن الكرسي الكهربائي . . . في منطقة الاختراع الميكانيكي كما في منطقة الكيمياء العضوية ، كل سم يمكن تحويله الى دواء . ان الانسان ليخجله التذكير بهذه الحقائق الاولية . . . عندما المساكين المتحدثون عن نزع السلاح يذهبون الى جنيف او لندن او غيرها لعرض هذا الوهم العتيق كالعالم على الجمهور الطائش ، هم لا يفكرون ان نزع السلاح يفرض نسيان مختلف العلوم المستخدمة لتسليح الشعوب ويفرض اهمال جميع الصناعات الثقيلة التي تدعم الحركة المالية خصوصاً في المانيا . التخلي عن التسلح الفتاك يعني اقفال صناعة الغازات والقنابل والطيارات والسيارات والقطارات وكل ما يعتبر مظهراً للتقدم خلال المائة الاخيرة من الاعوام

«وفي هذا الكفاية للدلالة على سخافة هذا الرجاء . وتبقى بعد ذلك الاسلحة والحراب والسهام المسمومة وغير المسمومة والبنادق القديمة والحصى وأسقاط (brie-à-brac) أرخميدس التي اصطنعتها الشعوب في القتال منذ اكثر من عشرين قرناً . حقّاً ان الطفل الذي يشيد قصراً على الرمل لرد اقتحام الامواج ، ليماثل ادراكاً عصابة جامعي شمل «اليوتوبيات» من اهل اشدود الذين خرجوا من الحرب خروج المحزون من صدقته بعد المطر . . . ويبقى شيء اكيد ، وهو ان الذي يبدأ بنزع السلاح يسارع جاره الى الدخول عنده كما في السمن . فيضطر عندئذٍ الى التسلح بعد المجازفة بخسارة نصف قومه وثلاثة ارباع ارانبه . . .»[1]

***

لم اذكر الى الآن ان دوديه طبيب وله خطير الابحاث في العلوم الطبية ، لا شك إن الموهبة الادبية اوسمتها دقة وحذقاً . وقد اسهب في الكتابة عن ايام دراسته ووصف اساتذته وزملائه واصحابه بطريقته الموفورة الحياة فأغدق على هؤلاء الثناء ونال من غيرهم بالسخرية والهجو . ومن هؤلاء الطبيب العالم « شاركو » الذي اشتهر بأبحاثه في الامراض العصبية ، ابحاث لم تسفر في نظر دوديه الا عن « خرائب مذهبة » . وذكر حوادث انتحل فيها المرضى الاعراض العصبية لتضليل شاركو ، فكان ذلك افكوهة الاطباء والممرضات وطلبة الطب . وتقرأ في مذكراته في المنفى :

« لا أصدق ان العمل غاية الانسان ، غاية الانسان هي بذل النفس لنوبه ولوطنه في مستوى النشاط الارضي ، أما في مستوى النشاط الروحي فبذل النفس لله . غير أن العمل منفذ ضروري لمختلف الغموم التي تنتابنا في هذه الدنيا . وفريضة كسب الخبز بعرق الجبين خير ممهّد لذلك المنفذ . . .

(١) كتاب (Vingt-Neuf-Mois d'Exil)

منذ ما انشأ سنطلي يصور عمدت الى النشاط العقلي أصرّفهُ في النقد العام وفي الأدب الوجداني وفي الطب . لأني منذ اربعين عاماً أبحث ، ولا عن علاقة الامراض بعضها ببعض . ثانياً عن طبيعة الاورام الخبيثة الحديثة التكوُّن ووسائل معالجتها ... وفي مقالاتي وتأملاتي واجهت داء السرطان على ضوءٍ جديد وبخاصة من حيث علاقته بداء السل ... وقد تلقيت عديد الردود على مقالاتي عن السرطان منها المرافق ومنها المعارض ومن كثيرين من الاختصاصيين . وهذا ما كنت أتوقعه ، لان في الطب كما في الفن لا بدَّ من التدرُّب على المهارسة لذلك الاصنام وقلب القيمات ، كما كان يقول نيتشه . وبديهي في مغامرات كهذه حدوث فترات نشاط وفترات إهمال ... معركة حامية مستمرة حيث الباحثون والمغامرون يلاقون النكبات ويقاسونها على غير استحقاق : نظرية جذابة تنهار فجأة . اختبار ذو شأن يفضي الى نتائج سلبية ... إن ذلك الداء المفجع قد روقب وحوصر ولكنهُ لم يُقهر بعد ... »

أو ليس الطبيب الصالح منهُ هو الذي يكتب : «بقي لي في الحياة مسرة ، وهي مساعدة زميل شيخ أو شاب لم ينل المكافأة الواجبة على جهوده ومواهبه ، وقد أغفل النقاد الرسميون وشبه الرسميين بفعل الغباوة أو بقصد الأذى . رجال الأدب مفكهون . فكل مقال نوهت فيهِ بكاتب من هذا النوع وردت عليَّ بعده الرسائل تقول : كيف تثني على من يبغضك ، أو من هو يهودي ، أو من هو جمهوري أو غير ذلك . كثيراً ما فكهني هذا القسم من بريدي قبل ان يطرح في سلة المهملات ... »

وهذا الرجل الرحيب القلب بعينهِ هو الذي اتّهم مالفي وزير الداخلية بفرنسا منذ ثلاثة اعوام خلال الحرب ، بتهمة الخيانة في خطاب وجههُ إلى مسيو بوانكاره في ٣٠ سبتمبر ١٩١٧ . « وقد حُكم على المتهم بالخيانة وجاءت اكثر حيثيات الحكم تؤيد ما ورد في خطابي » على قول دوديه

وانتخب في تلك الآونة نائباً عن باريس تحت راية الحزب الملكي فأثار عنفه وقوة حجته في مجلس النواب عديد المشكلات والمناقشات . وها هوذا يتحدث في ذلك :

« مجلس النواب ! دار لجميع الدور يجب ان تسكنها لتعرفها . وقد سكنتُها أربعة أعوام ونصف عام من دسمبر ١٩١٩ إلى ١١ مايو ١٩٢٤ فاحتفظتُ منها بذكرى مفكهة قلقة : مفكهة لان المجلس «كلوب» تتحادى فيهِ وتتلامس شتى الآراء والعقائد ، وقلقة نظراً لعجز الجهود ومستقبل البلاد ... أدركت ولمست الفناء (néant) التام والغرور الاساسي في هذا النظام ... في المجالس النيابية رجل موهوب لا يستطيع إظهار كل قيمتهِ إلاَّ في ظروف استثنائية ليست ميسورة التحقيق . مناورات الاحزاب والشيع ، والاطماع الحقيرة والدسائس من كل صنف ولون تسدُّ الطريق على الارادة الصالحة والعاطفة الوطنية والمصلحة العامة . أجل ، أذكرُ قول كاثور انهُ يفضل المجالس النيابية على قاعات الانتظار في بلاط الملوك . وأذكر كزازة بسمارك في آخر عمره من جراء وشايات

السلطة والاعيان في القصور . ولكن نظام الملكية الفرنسية بجميع عيوبه الشريرة والأرضية ، أثبت في النصور قدرتهُ في التكوين القومي بفضل جدد المتواصل واجتهاده ونشاطه وفنانيه »

هكذا زعم الحزب الملكي بتحين الفرص للاشادة بمحاسن الملكية . وعند ما تقبض على قلبه وحشة المنفى يذكر المنفيين من امراء فرنسا : « لا شيء يوازي الاختبار الشخصي » قبل ان أقضي اسبوعين في السجن . لم أعرف ما هو السجن رغم عديد زياراتي للمسجونين . وقضيت عامين ونصف عام في المنفى لم يكن لدي من المنفى سوى فكرة مشوشة ... مع اني اقتربت من الدوق دورليان الشهم الذي عاش في المنفى ٤٠ عاماً

« وكلما فاوتُ ذاك الامير العظيم كنت أطالع في عينيه كآبة عميقة رحيبة مريرة كالأوقيانوس ... وحشة المنفى اضطراب في المزاج ولوعة ، فهي صنف من الفكر الأدبي لا العقلي . لأن العقل يظل على صفاء تام ورؤى الاستقراء والاستنتاج فيه أشد جلاء . ولكن في أعماق الوجدان شيء مترجرج غير مستقر ، شيء يستاء ويزبئر . وكان المنفي المبجل الدوق دورليان يعبر عن ذلك الشعور بطريقة موثرة في تكلم مؤلم خاص به ، وهو انهُ يحمل دائماً في جيبه كيساً صغيراً مملوءاً من تربة الوطن ... أنا طيب بطبيعتي ، ولكن ليس لوحشة المنفى من دواء ناجع ... »

***

وعلام السجن والمنفى ؟

ليس بين قراء الصحف في الاعوام الاخيرة من يجهل قضية ليون دوديه بولده فيليب في أحوال مثيرة للشبهات ، فقبل ان الفتى انتحر في حين الوالد اتهم البوليس الفرنسي باغتياله . ثم حوكم الوالد بتلك التهمة وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام ونصف عام ، فعمد أنصاره بعد اسبوعين إلى تدبيرات شيطانية فاختطفوهُ من السجن واخفوه خمسة اسابيع ثم هرَّبوه إلى « منفاه » في بروكسل التي كتب فيها كثيراً وأحبها واحبَّ أهلها والامة البلجيكية عموماً — كثيراً . وأبى الاصغاء إلى موضوع التوسط لاستصدار العفو عنهُ . غير ان جمعيات الكتَّاب وصحف فرنسا وبلجيكا وسويسرا والاصدقاء والانصار لم يكفوا عن السعي والمطالبة . فتوسط لدى مسيو دومرج نفر من كبار رجال السياسة وفي مقدمتهم مسيو هيريو الذي طلب ان يردَّ إلى وطنه ذاك الذي هو « خصمٌ ، لا عدو » . فكتب دوديه :

« صدق هيريو . لا أعداء لي غير أعداء وطني من ابناء البلاد ومن الغرباء ، وغير قتلة ولدي والذين شاؤوا تبرئة ساحتهم . كنت في شبابي راديكالياً مثل دالاديه وهيريو وشببت في الوسط الراديكالي . وفي ١٩٠٤ فقط بتأثير موراس وفوجوا صرتُ من الخصوم في قضية دريفوس ووقفت

في صفوف الوطنيين وكان ذلك سبباً الى حزب الملكيين . فقد نطق هيربو بالحق بقوله اني خصمٌ لا عدوّ . هو أزرق وأنا أبيض ، وهذا كل ما في الامر

«... وفي اول يناير ١٩٣٠ وقد صدر العفوُ — سريحة الملك الذين اختطفوني واخفوني ثم هرّبوني ، حضروا الى بروكسل لتسلم طريدهم «ليون»، وفي طليعتهم زعماء الحزب... فتوجهنا الى باريس في صباح الغد . كان قلبي يقفز في صدري فأقول لهُ : رويدك يا هذا ، فالناس ينظرون الينا والمصورون حاضرون ... وجاء الاصدقاء إلى محطة بروكسل يشيعونني بصورةٍ مؤثرة ... وفي محطة أخرى مشيعون غيرهم يحملون طاقات الازهار وينشدون الاناشيد النصر . فأزجر دموعي قدر المستطاع . وجاءني موظف يخبرني في تأدُّب بأن دورج يخوّلني حق الدخول في وطني ان لم يكن حق مشاركته في طعامه ... ثم كان الوصول الاليكي الى محطة الشمال بباريس وزوجتي المحبوبة تتكىء على ذراعي ..... فكأني هبطتُ منطقة الأنواء في البحار بين عشرات الالوف من الملكيين والمواطنين وكانوا يلمحون نباحاً ، فتخيلتُ تنمي فلّينة تتقاذفها رؤوس الامواج ... وبعد دقائق قليلة رأيت في مدفن «پير لاشيز» بعد كلّ تلك الشهور قبر فيليب مزدانًا بالأزهار فكان لي أن أصلي قرب ولدي ...»

لغة دوديه تستحيل ترجمتها ولا يتيسر فهمها كلها الاّ للمتشبع من روح الأدب الفرنسي والشعب الفرنسي . لان تعبيراته بديهية غير منتقاة . ومع جمال انشائه وصلاعته ، فهو لا يتورّع عن استعمال الالفاظ الزقاقية وتعبيرات غلمان باريس ، ويكتب كثيراً من الكلمات مقلداً لفظ قائليها، وفي هذا ما فيه لاثارة الضحك . على ان هذا الانشاء بجملته من الحياة والحركة والتشويق ونشاط الذهن ووفرة المعلومات بحيث يسيطر عليك من جميع النواحي . ويحفز فيك شتى القوى النفسية من غضب وانفعال واستياء ورغبة في المقاومة — أو من حنين ولذة واعجاب ورغبة في الاستفادة . وهو في كل ما يكتب يرسم من شخصيته خطوطاً واضحة بألوان زاهية مشبعة و— مهاجمة عنيفة...

كذلك هو في ما لا يحصى من مقالاته في الصحف والمجلات وفي كتبه السبعين أو تزيد : عشرون منها روايات ، والباقي أبحاث في النقد والأدب والاجتماع والتاريخ والفن ووصف رحلات وأسفار ودرس أخلاق الشعوب وعاداتها وتحليل ميولها ، وأبحاث علمية ولغوية وطبية . فهو في الواقع يجمع بين الضلاعة العلمية والقدرة الخيالية . وذكرياته من أشهى وألذ ما يقرأ ، رغماً عن — او ربما بسبب طريقته في النقد والمهاجمة واللذع والهجو . وبعد فما أصفى مجالي العقاء في بيانه !

ومع تدينه فهو مغرم بأحاديث الغرام ويتلذذ بمرأى العشاق متأثرين في امساء الربيع بين متنزهات بروكسل وميادينها « حيث لا ترى الاّ العناق ولا تسمع سوى الهمس والزفرات . لا تغضب ايها

الرقيب القاسي ! إذا أنت أردت كثرة الموالد وجب التسليم بما يمجّد لها ، والطبيعة تحسن صنع ما تصنع . في بروكسل كما في باريس ومرسيليا يتبادل العاشقون القبل علناً في الطريق ، وليس من يحد في ذلك ما يقال . . . » .

وكما يفاخر بذكرى والده يفاخر بذكرى والدته (وهي أديبة أيضاً) وينوه بتأثيرها في مواهب والده ومواهبه . ويذكر فضل زوجته في مثل ذلك ويبلغ تأثيرها في حياته وما أدّاته من السلوى والهناء . ويمكن إدماجه بين كبار أنصار المرأة وان ضحك من فكرة « المساواة السياسية » وأبى للمرأة الترجل والتخشن في الاعمال الشاقة خارج البيت وفي غير الدوائر المتناسبة وأنوثتها . الاّ انهُ يطالب بجميع حقوقها الادبية والاجتماعية لان حياة المرأة في الحب وسحرها في الحب « والحب يرد المرأة الى جوهرها » . . . « الرجل هو المراك والمجازفة والنزاع الغيمة وهو احياناً التوازن الفظ . والمرأة هي اللذاذة والعذوبة والنياب القطة وهي احياناً الحكمة والصفاء . . . عندما يصدر الرجل حكمه ، المرأة تتوسط وتتوسل . . . اللانهاية التي نبحث عنها في الله تمثلها المرأة على الارض . . . هي مدّى لا حدود لها . . . هي غاية وحيدة للحياة . . . ونحن الرجال نقيدها ونحدها . . . »[1]

***

منذا الذي يبتّ في الحكم على مزاعم المنجمين ؟

في حسابات المنجمين ان المريخيين اي الخاضعين لتأثير المريخ ، يكونون عادة بدنيين اقوياء شرهين شغوفين بالهيكل اللسائي . وهم اهل عنف وشراسة مفرمون بالمهاجة والتعدي وان كانوا على مقدرة عظيمة للانصاف . هم سريعو الغضب سريعو التأثر ، وان استطاعوا احياناً التغلب على النفس بقوة . هم قساة وأريحيون في آن واحد . شجعان في الحرب وفي كل مغامرة واقتحام ، متطرفون في الصراحة وفي العناد ، لا يبالون بالمال ولا بالفخار في المعنى المألوف لأنهم يأخذون بالمثل العليا ويستهضون الآخرين للاخذ بها . يحبون اللذة حبهم للتقدم . لهم ثقة بنفوسهم وتعنّت لآرائهم ويتزعمون كل حركة يشتركون فيها او يكونون على الاقل بين النابهين . موهوبون بسلطان الادراك والقلم والبيان ومنهم كبار رجال العلم والجراحة والطب . لا تندر الفواجع في حياتهم ، وقد تنجم بعض مصائبهم عن تهجمهم وتهوّرهم واستهجانهم للملاينة والمداورة . . . في كل مجمول هم الرواد المغامرون . . .

انظر الى صورة ليون دوديه ، واقرأ ولو في هذا البحث فقط نتفاً من كتاباته ، ثم قل لنفسك رأيك هلاّ توافقت شخصية دوديه وشخصية المريخي كما يزعمها المنجمون ؟

(١) La Femme et l'Amour